



تحليل سياسات

ترامب والقدس: قراءة من الداخل

محمد الشرقاوي | فبراير 2018

ترامب والقدس: قراءة من الداخل

سلسلة: تحليل سياسات

وحدة تحليل السياسات | فبراير 2018

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2018

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: +974 44199777

www.dohainstitute.org

- 1 مقدمة
- 2 ما هو السياق الاستباقي لتركيب أضلاع قرار ترامب بشأن القدس؟
- 6 كيف يجسد قرار ترامب بشأن القدس تكريسًا لدوغماتية مزدوجة؟
- 8 الدوغماتية الدينية: ما طبيعتها؟ ومن أين تستمد قوتها؟
- 11 من السياق إلى المسار
- 12 الولايات المتحدة وإسرائيل: مصالح من؟
- 14 وضع القدس: انشقاق في التحالف الأطلسي
- 15 خلاصة: ما بعد قرار ترامب؟

مقدمة

لا تتبلور القرارات الرئاسية في البيت الأبيض في العدم أو تأتي بفعل نزوة سياسية قد تنتاب فجأة مزاج الرئيس في أي لحظة فتغدو إحدى ركائز السياسة الخارجية كما هو قرار الاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل، بل هي نتاج عملية مُمنهجة متنامية تتحرك ضمن نسقين متكاملين يُحدّدان جدلية صنع القرار: أولهما، سياق استباقي Proactive تستهله جماعات الضغط في واشنطن بالاستثمار ماديًا وسياسيًا وأيديولوجيًا في المرشح بدايةً بحملته الانتخابية وحشد الرأي العام لمصلحته، ونهايةً بكبح جماح حظوظ خصومه المتنافسين معه في السباق الرئاسي. أما ثانيهما، فهو تفاعلي لاحق Reactive يستهدف التبشير الإعلامي بمدى التزام المرشح بوعوده الانتخابية وتركيب خطاب يُشيد بصدقته بموازاة تطبيع المسار Trajectory لقراراته وتعزيز سردية أنها تخدم المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة.

إذًا، تشكل ازدواجية السياق والمسار Context and Trajectory منهجية ضرورية في فهم كيف تحمّس دونالد ترامب لإعلان سياسته الجديدة إزاء القدس، ولماذا تحدّى معارضيه حتى من الجمهوريين في واشنطن وحلفاءه في شتى العواصم بما فيها لندن وباريس وستوكهولم. ولم يكتفِ بالعزلة الدبلوماسية للولايات المتحدة خلال التصويت في مجلس الأمن والجمعية العامة. وشدد ترامب في خطابه عن حالة الاتحاد أمام جلسة مشتركة لمجلسي النواب والشيوخ في واشنطن قائلاً "إنني أقدمت على إجراء كان قد حظي بتصويت بالإجماع في مجلس الشيوخ قبل سنوات، لقد اعترفُ بالقدس عاصمةً لإسرائيل". تدعو الحاجة أيضًا إلى تحليلٍ مُتروّ لما رَمَتْ إليه زيارة نائب الرئيس مايك بنس إلى القدس وخطابه في الكنيست، حيث أكد أن نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس سيتم في العام المقبل (2019).

سأركّز في هذه الورقة على الاعتبارات والعوامل التي أدّت إلى ما أسميه "دوغماتية القدس" لدى ترامب سواء في بعدها النفسي أو العقائدي أو الإستراتيجي أو السياسي، وتقنيك علاقته ليس مع قيادات جماعات الضغط أو اللوبي الإسرائيلي فحسب، بل أيضًا مع دور الحاضر ضمنياً والغائب ظاهرياً وهو تأثير الجماعات المسيحية الأنغليكانية في اتجاهين: كيف يفهم المرشح ترامب والرئيس ترامب هذا الولاء والتأييد التاريخي من قبل هذه

الأوساط المسيحية المؤيدة لليهود منذ قيام الولايات المتحدة في القرن الثامن عشر، وكيف يُسقط هؤلاء الأنغليكانيون تأويلاتهم واعتقاداتهم المتوارثة بشأن عودة المسيح على السياق العام الذي أوصل ترامب إلى البيت الأبيض، وهم يعتبرون فوزه بانتخابات الرئاسة "عملًا ربّانيًا" كما يقول نيل يانغ Neil J. Young مؤرخ الأديان في جامعة كولومبيا¹.

تجادل هذه الورقة أنّ قرار ترامب بشأن القدس يجسّد تلاقي دوغماتيتين، إحداهما سياسية والأخرى دينية ضمن ما بدا أنه عملية صرف شيك دبلوماسي بقيمة القدس برمتها لإسرائيل، وتجاهل مطالب الفلسطينيين بشأن القدس الشرقية، وتقويض أي مفاوضات حول وضعها النهائي أو حلّ الدولتين. وتسعى الورقة أيضا للردّ على سؤال مهمّ: هل يخدم قرار ترامب مصلحة الولايات المتحدة أولًا وإسرائيل ثانيًا؟ أم العكس ضمن السّجال المفتوح بفعل الخلاصات التي توصل إليها جون ميرشايمر وستيفان والت في كتابهما الشهير عن اللوبي الإسرائيلي الصادر قبل عشر سنوات.

ما هو السياق الاستباقي لتركيب أضلاع قرار ترامب بشأن القدس؟

أستهلّ بمقولة شهيرة في الفكر السياسي الأميركي ارتبطت برئيس مجلس النواب تيب أونيل Tip O'Neil الذي كان بمنزلة النّدّ للرئيس رونالد ريغان في الثمانينيات عندما استخلص أنّ كل السياسة تحكمها الاعتبارات الداخلية All politics is local. تتمّ المقولة عن ترابط عضوي بين ما هو علائقي Relational وما هو من قبيل رسم السياسات العامة Polity في السياق المحلي، إذا اعتبرنا قرار ترامب بشأن القدس نجاحًا حققه مايك بنس وبقية مستشاريه اليمينيين وقادة اللوبي اليهودي، عندما قرّر تطبيق قانون ظلّ مجمدًا في الكونغرس منذ اثنين وعشرين عامًا.

¹ Cristina Maza, "Trump will start the end of the World, claim Evangelicals who support him," *Newsweek*, January 12, 2018, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/KCLbPY>

في خطابه المقتضب في البيت الأبيض، شدّد ترامب بنبرة التباهي على أنّ "رؤساء أميركا السابقين جعلوا وضع القدس وعدًا رئيسًا ضمن حملاتهم الانتخابية، لكنهم لم يفوا بذلك. وأنا اليوم أطبّق ما وعدتُ به"، في إشارة إلى قانون السفارة في القدس Jerusalem Embassy Act الذي أقرّه الكونغرس الرابع بعد المئة في 23 تشرين الأول/أكتوبر 1995. ينصّ هذا القانون على تحديد ضوابط السياسة الأميركية بثلاثة أمور:

- أن تظلّ القدس مدينة موحّدة تتمّ فيها حماية حقوق كلّ مجموعة عرقية أو دينية.
- الاعتراف بالقدس عاصمة لدولة إسرائيل.
- ينبغي تأسيس السفارة الأميركية في القدس قبل حلول الحادي والثلاثين من أيار/مايو 1999.

غير أنّ الرّؤساء بيل كلنتون وجورج بوش الابن وباراك أوباما فضّلوا توقيع قرارات دورية كلّ سنّة أشهر لتأجيل تنفيذ القانون. وفي حزيران/يونيو 2017، وقّع ترامب على مضمّن قرار التأجيل بعد أن أفضّعه صهره ومهندس ما أصبح ينعى بـ "صفقة القرن" جاريد كوشنر بأنّ "نقل السفارة إلى القدس قد يقوّض جهود المبادرة الجديدة قبل أن تقيم حكومة ترامب علاقات جيدة في المنطقة"².

هل كانت ترامب ضرورة دبلوماسية قصوى؟ وهل استدعت الإستراتيجية الأميركية تصحيحًا فوريًا في مسارها في الشرق الأوسط؟ الملاحظ أنّ جميع مؤشرات إدارة المخاطر الراهنة وقتها أفادت بوجود أزمات مستحقة في مناطق أخرى كنفوذ تنظيم الدولة في سورية، أو تنامي التأثير الإيراني في اليمن والعراق ولبنان، أو الاقتتال الداخلي وعودة أسواق النخاسة في ليبيا، أو التهديدات النووية المفتوحة لكوريا الشمالية. الواضح أنّ هذه الأوضاع لم تكن تشكل وازعًا استعجاليًا أو طارئًا لإعلان سياسة أميركية جديدة إزاء القدس وتغيير جغرافية السفارة الأميركية في إسرائيل. لكن المنطق التبسيطي لدى ترامب يقول إنّ "التحديات القديمة تحتاج إلى منطلقات جديدة". بيد أنّها تظلّ مغطّاة بوازع نفسي يقتضي أن يجسد تحديّه لإرادة المؤسسة في واشنطن وأن يكون هو في مركز القيادة وأن يخلق خارج السرب، حتى إنّ افتقده لرؤية دبلوماسية محسوبة إستراتيجيًا بشأن إدارة النزاع

² Mark Landler, "For Trump, an Embassy in Jerusalem Is a Political Decision, Not a Diplomatic One," *The New York Times*, December 6, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/Wdfkne>

بين الفلسطينيين والإسرائيليين في المستقبل بعد أن قضى على الترحيب الفلسطيني بالدور الأميركي في رعاية عملية السلام، وأجهض ضمناً "صفقة القرن". ومع ميول ترامب إلى التّمحور حول الذات وأسلوب الاستعراضية في تدبير الأمور السياسية، قال أحد المعلقين إن ترامب أظهر "ثقافة رجل صفقات على استعداد للمغامرة بخلط الأوراق"³.

في اليوم التالي، نشرت **نيويورك تايمز** صفحة كاملة مؤلّتها اللجنة اليهودية الجمهورية يظهر في أعلاها ترامب وهو يصلّي عند حائط المبكى في القدس، وفي وسطها العبارة التالية "أيها الرئيس ترامب، وعدت ووفيت بالوعد. شكرًا على الاعتراف الشجاع بالقدس عاصمة أبدية لإسرائيل". ويبدو أن ترامب قرّر المضي قدماً بخطته بإيعاز من مايك بنس على الرغم من المشورة غير المؤيدة لوزير الخارجية ريكس تيلرسون والدفاع جيمس ماتيس بعدم تغيير وضع القدس في المرحلة الراهنة. وقد ساور هذين المسؤولين قلقٌ متزايدٌ بشأن تنامي المشاعر المعادية للولايات المتحدة وردة الفعل المحتملة ليس على الدبلوماسيين الأميركيين فحسب، بل أيضًا على الجنود الأميركيين المرابطين في الخارج"⁴. وأبلغ المبعوث الدولي لعملية السلام في الشرق الأوسط نيكولاي ملادنوف مجلس الأمن وقتها بأن القدس "ربما هي الموضوع الأكثر إثارة للمشاعر والأكثر صعوبة" ضمن قضايا الوضع النهائي في النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي. ولاحظ مراقبون آخرون أن "ترامب يتجه حاليًا نحو تطبيق إستراتيجيته للتدمير الدولي في أكثر المناطق الملتهبة من الناحية الجيوسياسية في العالم"⁵.

لم ينطو قرار ترامب على الاعتبارات المحلية في صنع السياسة الخارجية فحسب، بل جسّد أيضًا تأثير ثمره العلاقات الشخصية والمصالح المادية في ترتيبها مسبقًا بحسب قاعدة الاستثمار السياسي المسبق في الحصان الفائز. مثال ذلك أن الملياردير اليهودي الأميركي صاحب نوادي القمار والمتبرع للحزب الجمهوري شلدون أدلسون Sheldon Adelson اجتمع مع الرئيس المنتخب ترامب في إحدى بناياته في نيويورك في التاسع من

³ Rick Klein, "Analysis: In Jerusalem gamble, Trump may go bust," *ABC News*, December 6, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/26nnSK>

⁴ Landler.

⁵ Jonathan Freedland, "Donald Trump's Jerusalem statement is an act of diplomatic arson," *The Guardian*, December 6, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/8Ko9TM>

يناير قبل عشرة أيام من حفل التنصيب. وبعد الاجتماع، أبلغ أدلسون رئيس المنظمة الصهيونية في أميركا مورتن كلين Morton Klein بتصميم ترامب على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، وأن هذا يظل "أولوية قصوى" و"قضية يتعلق بها في قلبه وروحه" بحسب تعبير أدلسون⁶.

يفسر مارك لاندلر Mark Landler في مقال مفصل كيف أن جمعية عمل سياسية مؤيدة لترشيح ترامب للرئاسة تلقت تبرعًا بعشرين مليون دولار من أدلسون وزوجته، وأنهما تبرعا أيضًا بمبلغ مليون ونصف المليون دولار للجنة التي نظمت المؤتمر القومي للحزب الجمهوري في صيف 2016. وتبعًا لذلك، ظلّ وضع القدس بالنسبة إلى ترامب "ضرورة سياسية أكثر من مشكلة دبلوماسية". وعند المقارنة بين الإقدام (كما يقول مارك لاندلر) على قرار "يثير خيبة أمل لدى الجماعات الأنغليكانية ومؤيدي إسرائيل مثل السيد أدلسون أو إثارة القلق لدى الحلفاء والزعماء العرب من خلال الإضرار بمبادرته للسلام في المنطقة، قرّر الرئيس الوقوف في صف مؤيديه الرئيسيين". وقبل عشرة أيام من خطاب القدس، دخل ترامب اجتماع فريقه لشؤون الأمن القومي لمناقشة الخيارات الممكنة بشأن قضية القدس وطلب منهم تحديد "حلول أكثر ابتكارًا". فقدّم مستشاروه إليه اقتراحين: "توقيع قرار تأجيل نقل السفارة مجددًا أو توقيع قرار نقل السفارة لكن مع تأجيل الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل وتحديد خطة لنقل السفارة"⁷.

من المفارقات المثيرة أن يقرّر ترامب تطبيق أكثر القضايا إثارة للجدل والأكثر تقلبًا في الشرق الأوسط من أصل 282 وعدًا أعلنها خلال حملته الانتخابية، ورمى بذلك شعلة نار على القضية الأكثر قابلية للانفجار في النزاع⁸. وسعى من خلال تغيير وضع القدس قبل نهاية عامه الأول في البيت الأبيض أن يكتب الفصل الأول في ما يعتبره ملحمة الواقعية التي ستضعه في مصاف الرؤساء العظماء في تاريخ أميركا بحسب اعتقاده. بل لا يتردد في التلويح بأن شجاعته فاقت شجاعة من سبقوه في تطبيق قانون الكونغرس بشأن القدس.

⁶ Landler.

⁷ Ibid.

⁸ Freedland.

خلال حملته الانتخابية عام 2016، تعهد ترامب بأنه "سيسعى لتحقيق السلام عن طريق القوة، وأن إجراءات الولايات المتحدة في حكومة ترامب ستركز على خيار الواقعية"⁹. غير أن منحى هذه الواقعية بإعلان القدس عاصمةً لإسرائيل لم يكن بحسب توقعات الرأي العام الأميركي والعالمي عندما تعهد المرشح ترامب أن "يكون شخصًا غير منحاز، وأن مفاوضات النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي هي الأكثر صعوبة من نوعها في العالم"، ولا عندما قال إن "الأمم المتحدة ليست صديقًا لإسرائيل ولا للديمقراطية. وستنتهي الأيام التي تُعامل بها إسرائيل وكأئها من الدرجة الثانية في اليوم الأول من رئاستي".

من منطلق هذه الواقعية الترابمية التي ينمّحها خطاب البراغماتية، نقرب من السؤال الأكبر.

كيف يجسد قرار ترامب بشأن القدس تكريسًا لدوغماتية مزدوجة؟

هناك دوغماتية سياسية تفرضها العلاقة بين ترامب ومنتياهو وزعماء الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، وهناك أيضًا دوغماتية دينية تتقوى عند خط التلاقي بين معتقدات اليهود والمسيحيين الأنغليكانيين.

أوقف أولًا عند مكونات الدوغماتية السياسية وكيف أنعشت همّة ترامب لأن يكون خير حليف لخير نصير. قبل دخول البيت الأبيض، تعهد المرشح ترامب مرارًا بأنه سيكون "صديقًا حقيقيًا لإسرائيل"، وأنّ على الولايات المتحدة أن "تتعاون أكثر فأكثر فأكثر مع إسرائيل"¹⁰. وساهم هذا الالتزام بدعم المصالح الإستراتيجية الإسرائيلية أمام مؤيديه من أعضاء المنظمات اليهودية الأميركية وجماعات اليمين المتطرف في نمو قناعة مترسخة لديه بأنه رئيس متمسك بمبادئه ووفّي لأصدقائه، وهي قناعة تمنحه الشّعور بأنه رجل أخلاقيات سياسية وأنّ قراراته تصبّ في مجرى سياسة القيم Moral politics التي تنتعش روحها بالمبادئ البروتستانتية التطهيرية بين الأوساط الأنغليكانية في الولايات المتحدة.

⁹ "Transcript of Donald Trump's speech on national security in Philadelphia," The Hill, September 7, 2016, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/UivLac>

¹⁰ Jenna Johnson, "I will give you everything.' Here are 282 of Donald Trump's campaign promises," *The Washington Post*, November 28, 2016, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/4H3EwW>

هي دوغماتية سياسية بامتياز لدى ترامب الذي يتعرض مرارًا لانتقادات النخبة والرأي العام وعبر وسائل الإعلام، بأنه أبعد ما يكون عن التحلي بأي أخلاقيات العمل السياسي وحتى المعاملات المالية، بالنظر إلى رفع أربع وعشرين دعوى قضائية ضده أمام المحاكم، فضلًا عن أنه دفع تسوية مالية بمبلغ 25 مليون دولار لإنهاء المتابعة القضائية في قضية ما كان يعرف بجامعة ترامب في شباط/فبراير 2017.

هي دوغماتية سياسية ذات رصيد معنوي أيضًا بالنسبة إلى ترامب عندما يمنحه التمسك بتحقيق بعض وعوده للجماعات اليمينية واليهودية فسحة مواتية لتقمص شخصية رئيس يتمتع بصدقية عالية ويربط الأقوال بالأفعال. وبذلك، يغطي على بعض ميوله الميكافيلية الجديدة، ما يجعله رجل سياسة القوة وليس سياسة القيم أو التقاليد الأخلاقية من صميم ما تشبعت به أميركا من الأفكار البروتستانتية تاريخيًا وانتقال الإصلاح الديني إلى إصلاح سياسي.

تساور ترامب مع نتنياهو ثلاث مرّات قبل إلقاء خطابه حول القدس، في حين نسّقت البعثتان الأميركية والإسرائيلية في الأمم المتحدة جهودهما لتقويض إمكانية صدور قرار مناهض لما يبتغيانه من مجلس الأمن¹¹. وشهدت جلسة مجلس الأمن والجمعية العامة انقسامًا واضحًا بين معسكرين، هما: الولايات المتحدة وإسرائيل مقابل أغلبية المجتمع الدولي. وحاولت السفارة الأميركية نيكى هيلي دخول المعركة الدبلوماسية بنظرية أن أفضل إستراتيجية للدفاع هي الهجوم، فانتقدت الأمم المتحدة بأنها "فعلت الكثير في إلحاق الضرر بمستقبل عملية السلام بدلًا من تعزيز فرصها في المستقبل". كما اتهمت المنظمة العالمية بأنها "واحدة من أشرس المراكز في العالم عدائية نحو إسرائيل".

وفي مسعى لتبديد الانتقاد للاعتبارات غير الأخلاقية في قرار ترامب، انطوى خطاب هيلي على اعتبار إسرائيل ضحية، قائلة "لن ولا ينبغي أن تتعرض إسرائيل لسوء المعاملة والضغط من خلال أي اتفاق تتوصل إليه الأمم المتحدة أو أي مجموعة من الدول التي تثبت تجاهلها لأمن إسرائيل". واعتبر السفير الإسرائيلي داني دانون قرار ترامب بأنه "خطوة عملاقة لإسرائيل وللسلام والعالم". غير أنّ ثمانى دول بما فيها المملكة المتحدة وإيطاليا

¹¹ Noa Landau, "U.S. Envoy Nikki Haley Says UN Did More Damage Than Good to Mideast Peace," *Haaretz*, December 8, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/2EHE8q>

وفرنسا من أصل خمس عشرة دولة أعضاء في مجلس الأمن طالبوا بجلسة طارئة، في حين شدّد الفلسطينيون والأتراك على أن اعتراف ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل ينتهك القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة¹².

هي دوغماتية سياسية يأمل ترامب أن تخفف عنه حدة الانتقادات عندما يمعن في أسلوب الواقعية السياسية الجامحة التي أوحّت له بإستراتيجية ليّ نراع الفلسطينيين بتخفيض المساهمة الأميركية في ميزانية وكالة عون وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا"، وقطع المساعدات عن السلطة الفلسطينية. وأعلن في خطاب حالة الاتحاد أنه "سيطلب من أعضاء الكونغرس تبني قانون يضمن أن المساعدات المالية الخارجية تخدم دوماً المصالح الأميركية وأن تقتصر على أصدقاء أميركا". والأكثر من ذلك، يضيف ترامب معادلة ميكافيلية يرسم خط فاصل بين الأصدقاء والخصوم، قائلاً "ونحن نعزز الصداقات حول العالم، فإننا نعيد تكريس الوضوح في التعامل مع خصومنا".

ومن ثمّ، إذا كانت واقعية ترامب بمنزلة عملة ذات وجه سياسي، فماذا يخفي الوجه الآخر؟ وجه الدوغماتية الدينية.

الدوغماتية الدينية: ما طبيعتها؟ ومن أين تستمدّ قوتها؟

ظلّ تأثير هذه الدوغماتية الدينية بعيداً عن تركيز المحللين واستطلاعات الرأي العام في تفسير أسباب فوز ترامب بالانتخابات الرئاسية على الرغم من كل الجدل الذي كان قائماً حوله بسبب استهتاره بشتى القيم والمثل الأميركية، وتبنيّه خطاباً عنصرياً ومعادياً للمسلمين واللاتينيين والأقليات والنساء ووسائل الإعلام والقضاء ومختلف المؤسسات التي قامت عليها الديمقراطية الأميركية. هي دوغماتية دينية اختزلت نجاحه في حشد تأييد سكان الولايات الحمراء المحافظة ضمن العمق الأميركي.

¹² Peter Beaumont, "Trump's recognition of Jerusalem as Israel capital sparks West Bank clashes," *The Guardian*, December 7, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/itqFDh>

كان المرشح ترامب الذي تبني مواقف ليبرالية حتى الأمس القريب يعقد اجتماعات منتظمة مع زعماء الجماعات الأنغليكانية الذين دأبوا على حثه على المضي قدماً بنقل السفارة الأميركية إلى القدس. من هؤلاء توني بيركينز Tony Perkins رئيس مجلس أبحاث العائلة الذي يتذكر "كيف عبّر الأنغليكانيون والمسيحيون المتمسكون بالإنجيل عن رغبتهم لترامب بشكل واضح في ربط علاقات خاصة مع إسرائيل"¹³. غير أن هذا المسعى الأنغليكاني لاعتبار القدس عاصمة الدولة اليهودية يأخذ منحى مغايراً لرؤية المسيحية ويتعارض مع أحكام القانون الدولي. وقد عبّر البابا فرانسيس عن "قلقه البالغ" و"ناشد بشدة الجميع باحترام الوضع الراهن للقدس بما يتماشى مع قرارات الأمم المتحدة".

هي دوغماتية دينية متماسكة تستمد قوتها من الاعتقاد السائد بين أغلب المسيحيين الأنغليكانيين أن "الرب اختار ترامب بكلّ ماله وما عليه ليمهد لحقبة جديدة في التاريخ يتعارفون على تسميتها الأزمنة الأواخر End Times قبل أن يعود المسيح إلى الأرض ويحاكم جميع البشر"¹⁴. وتكتسي القدس أهمية خاصة في هذا الاعتقاد المتوارث عبر الأجيال في استكمال نبوءة المسيح، نظراً إلى كونها المكان الذي سيشهد نهاية الزمن البشري. وتترقب هذه الرؤية الاستشرافية بحسب العقيدة الأنغليكانية حلول فترة سلام تدوم ألف عام ستعقبها سبع سنوات عجاف تكثر فيها الحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية، ما يجرّ الأرض إلى الهلاك.

ويتمسك الأنغليكانيون بما جاء في كتاب الرؤيا *Book of Revelation* بأن إسرائيل شعب سيعايش حقبة السنوات العجاف وأن الكنيس في القدس سيُبعث من جديد خلال تلك الفترة. ويزداد ترقبهم بأن إسرائيل الموحدة ستقوم في المنطقة وتسيطر على القدس من أجل تسهيل بناء كنيس جديد والتحضير للأزمنة الأواخر. ويلاحظ مؤرخ الأديان نيل يانغ Neil Young أن "كثيراً من الأميركيين الأنغليكانيين يؤمنون بما سيحدث قبل الألفية، وبعودة المسيح الذي سيبدأ حقبة جديدة تدوم ألف عام ويعمها السلم والازدهار"¹⁵. ويضيف أن إسرائيل تظلّ جزءاً من هذه الرواية، إذ يعتقد المسيحيون الأنغليكانيون بدورهم أن الأحداث الراهنة تصب في اقتراب الأزمنة

¹³ Landler.

¹⁴ Maza.

¹⁵ Ibid.

الأواخر، وأن اعتراف ترامب بالقدس عاصمةً لإسرائيل هو الأمر الملموس الوحيد الذي يعتبره الأنغليكانيون من أنصار ترامب جزءًا من تحقق النبوءة بقدوم المسيح مجددًا.

ومن تصوّر شخصي باعتباره أحد الناشطين الأنغليكانيين السابقين، يقول المواطن الأميركي بليك تشاستن Blake Chastain إن "الأنغليكانيين يعتبرون أنفسهم متعاطفين مع إسرائيل، غير أن هذا التعاطف ينمّ عن رغبتهم في عودة اليهود نحو المسيح وتعاليمه"¹⁶. والملاحظ أن ترامب لم يكتفِ بالتعهد بقضية القدس فحسب لاستمالة تأييد الأوساط الأنغليكانيين، بل وعد أيضًا باحترام الحريات الدينية واختيار قضاة مناهضين للإجهاض لعضوية المحكمة العليا في واشنطن. ويوضح نيت بايل Nate Pyle، وهو قسّ ومؤلف كتاب عن المسيح، أن "ترامب كان دقيقًا في تعهده باحترام الحريات المسيحية، وليس كافة الحريات الدينية المختلفة. لقد تحدث كثيرًا عن المسيحيين قبل أن يحدد موقفه من إسرائيل"¹⁷.

بيد أن ثمة بُعدًا آخر ينبغي استحضاره من أجل استكمال العوامل المباشرة وغير المباشرة في تركيب قرار ترامب بشأن القدس. وهناك حاجة لدى ترامب إلى إصدار قرارات أو نشر تغريدات تعزز هذه العلاقة بينه وبين مناصريه الأنغليكانيين. وقد تساعد هذه الدوغماتية الدينية في فهم عدم اعتراض ترامب على قيام إسرائيل بتهويد القدس أو توسيع المستوطنات. ويبدو أن الرأي العام العربي لا يتوقف عندها مليًا، ولا تبحث النخبة الفكرية فيها من خلال قراءة متأنية من داخل هذه العلاقة بين ترامب ومؤيديه الأنغليكانيين وأصدقائه اليهود في كل من الولايات المتحدة وإسرائيل.

¹⁶ Maza.

¹⁷ Ibid.

من السياق إلى المسار

لكل سردية سياسية حبكة منطقية تربط بين سياقها الداخلي الراهن ومسارها الخارجي باتجاه المستقبل. ومن هذه الزاوية يكتسي خطاب نائب الرئيس الأميركي مايك بنس في الكنيسة دلالة خاصة في تعزيز تلك الحبكة. ولا يقتضي، إذًا، تحليلًا سياسيًا عاديًا، بل من داخل تلك الدوغماتية المزوجة عند تقاطع السياسة والدين، وتفكيك حملته الرمزية تبعًا لخط التلاقي بين الفكر السياسي اليهودي والمعتقدات الأنغليكانية والتفاهم حول مدينة القدس وعودة المسيح.

ولا عجب أن يكون مايك بنس نائب الرئيس والحاكم السابق لولاية إنديانا أحد الوجوه الأنغليكانية التي تمرست بالعمل في عضوية الكونغرس، وهو من يصوغ ويلقي أول خطاب رسمي داخل الكنيسة بعد قرار ترامب. ومن الفقرات ذات الدلالة التاريخية والرمزية قوله: إننا نقف في صف إسرائيل نظرًا إلى أن قضيتكم هي قضيتنا، وقيمكم هي قيمنا، وكفاحكم هو كفاحنا. نحن نقف مع إسرائيل بسبب إيماننا بغلبة الحق على الباطل، والخير على الشر، والحرية على الاستبداد. وفي نيسان/ أبريل المقبل، سنخلد اليوم الذي أجاب الشعب اليهودي عن السؤال القديم: هل يمكن أن يولد بلد في يوم، هل تولد أمة في يوم؟ عندما تُحيي دولة إسرائيل الذكرى السبعين لميلادها.

بين السياق والمسار علاقة أخرى عندما حاول بنس الترويج لسردية خدمة المصالح الأميركية إذ قال "لقد اتخذ رئيسنا قراره كما قال 'من أجل مصالح الولايات المتحدة'. غير أنه أوضح أيضًا أننا نؤمن بأنه قرار يصب في مصلحة السلام". ويلتقط بنس من ترامب خيط البراغماتية المعلنة فيقول "وأخيرًا بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، اختارت الولايات المتحدة الواقع على الخيال، والواقع هي الأرضية الصلبة الوحيدة لتحقيق سلام عادل ودائم".

تتعدد نقاط الالتقاء والتكامل ليس بين ترامب وبنس فحسب، بل أيضًا النسق السياسي والعقائدي بين الدعوة إلى الحريات الدينية ومحاولة احتكار ملكية هذا الخطاب في الشرق والغرب. فقد قال بنس إن "الولايات المتحدة قد

التزمت بتقديم 110 مليون دولار لمساعدة الأقليات المسيحية وغيرها في أرجاء الشرق الأوسط، ونحث حلفاءنا هنا في إسرائيل وفي أوروبا وعبر العالم على الانضمام إلينا لخدمة هذه القضية".

وقبل توجه مايك بنس إلى مقر الكنيست، تمّ نصب مئة وعشرة لافتات في مواقع إستراتيجية في القدس تقول "صديق حقيقي لصهيون" ضمن حملة علاقات عامة نظمتها ومولتها جمعية "أصدقاء المتحف الصهيوني" التي تحثي بمن تعتبرهم أصدقاء إسرائيل. وقد تلقى الرئيس ترامب في كانون الأول/ ديسمبر 2017 جائزة "صديق صهيون" تقديرًا لما قام به من "إنجاز تاريخي" على حد تعبير مايك إيفانز Mike Evans مؤسس الجمعية وبحضور مايك بنس وزعماء الجماعات الأنغليكانية المسيحية.

وعندما تتكامل طموحات بنس وقرارات ترامب، تكتسب عبارة التأييد لإسرائيل دلالة جديدة في منطلقاتها العقائدية وأهميتها الدبلوماسية والسياسية. ويثير ولاؤهما الأحادي النظرة إلى الجناح اليميني ومؤيديه من الأنغليكانيين أسئلة مهمّة: إلى أيّ حدّ التزم ترامب بخدمة المصالح الإستراتيجية الأميركية بتحقيق رغبة رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو وضمّان مصالح إسرائيل، في حين تظلّ أغلب الحكومات العربية غارقة حتى أخصّ قدميها في الحروب الأهلية في اليمن وسورية وليبيا وبقية التحديات بفعل تبعات انتفاضات عام 2011.

الولايات المتحدة وإسرائيل: مصالح من؟

يبدو أنّ تحقيق ترامب أمنيات اللوبي اليهودي والأنغليكاني المشترك سيقوّض الأمل المفترض في صدقية الولايات المتحدة من دون عائد سياسي واضح في المقابل. وعلى الرغم من ترسخ معادلة الربح والخسارة في عقلية رجل الصّفقات، تجاوز ترامب القواعد الأساسية في الواقعية السياسية وخدمة المصالح الذاتية الأميركية المتوارثة في الفلسفة السياسية للحزب الجمهوري. ويمكن اعتبار موقفه من القدس خطة أحادية بلا قيمة إستراتيجية محدّدة للولايات المتحدة. لقد تطوّع بالتخلي عن حماسه للفوز، وهذا وازع رئيس في منظوره إلى إبرام الصفقات. ذكر في كتابه بعنوان **التفكير في الأمور الكبيرة Think Big** "أنا أعشق تحقيق الأهداف الكبرى

والتوصل إلى الصفقة الكبرى. أعشق أيضًا سحق الطرف الآخر وجني ثمار الصفقة. لماذا؟ لأنه ليس هناك أعظم من الفوز"¹⁸.

بخلاف ذلك، غابت روح الفوز لدى ترامب بعدم وجود عائد سياسي محدد من تغيير وضع القدس بالنسبة إلى رئيس دعا إلى تكريس الصفقاتية Transactionalism، وحصل على نحو نصف تريليون دولار من الاستثمارات الخليجية خلال حضوره قمة الرياض في أيار/ مايو 2017. وتحول ترامب من رجل شرس في المفاوضات بمنطق "فن الصفقات" إلى سخي بحسب منطق فنّ الأعطيات. يقول توماس فريدمان الذي تابع تطورات السياسة الخارجية الأميركية منذ ثلاثين عامًا إن "ترامب أصبح مصدر هذه الأعطيات ليس بسبب كونه جاهلاً، بل لأنه لا يرى نفسه رئيسًا للولايات المتحدة. هو يعتبر نفسه رئيسًا لقاعدته الانتخابية، وهذا بسبب أنها هي مصدر التأييد الوحيد المتبقي له. هو يشعر أنه بحاجة إلى أن يقدم إلى قاعدته الشعبية باستمرار من خلال تحقيق وعوده الانتخابية الخام وغير القائمة على تصورات سليمة عندما كان يطلقها جزأً خلال الحملة الانتخابية [...] لم أر قط رئيسًا يتخلى عن الكثير مقابل العائد الضئيل، بداية بالصين ونهاية بإسرائيل"¹⁹.

يثير قرار ترامب توقعات جون ميرشايمر وستيفان والت اللذين كتبا قبل عشر سنوات أن "من الصعب تحديد حدود اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة"، وأنه يشمل "انتلافًا رخواً من الأفراد والمنظمات الذين يسعون حثيثاً لتحويل بوصلة السياسة الخارجية الأميركية نحو الوجهة المؤيدة لمصلحة إسرائيل"²⁰. وقد نجحت عائلة أدلسون والأثرياء اليهود الأميركيون في إقناع ترامب بالتحرك في هذا الاتجاه. كما أن العلاقة الشخصية والسياسية بين أدلسون وترامب ونتتيا هو تجاوزت منطق التوازن بين مراكز القوة ضمن آليات السياسة الأميركية.

¹⁸ Steven Watts, "What Donald Trump's Books Say about Winning," *The Atlantic*, November 12, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/WmPnRW>

¹⁹ Thomas Friedman, "Trump, Israel and the Art of the Giveaway," *The New York Times*, December 6, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/jNKF5S>

²⁰ John J. Mearsheimer & Stephen M. Walt, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy* (London: Penguin Books, 2008), p. 5.

وتظهر أيضًا كيف أن اللوبي الإسرائيلي يخلف "مفعولًا سلبيًا ليس على المصالح الأميركية فحسب، بل يمتد تأثيره إلى إلحاق الضرر بشكل غير مقصود بمصالح إسرائيل أيضًا"²¹.

ويتضاءل رأس المال السياسي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ومناطق أخرى، ومن ثمّ يؤكّد انطباعين سلبيين: أولهما، أن الولايات المتحدة لم تكن وسيطًا نزيهًا لعملية السلام. وثانيهما، عبثية التلويح باتفاق السلام من خلال تقادي الحسم في الوضع النهائي للقدس وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة وعدم إمكانية حل الدولتين. وكما قال أحد المعلقين، "إذا كانت هناك أي منفعة في إعلان ترامب بشأن القدس، فهي أنه يوفّر الوضوح باتجاه غاية توحد الفلسطينيين"²².

وضع القدس: انشقاق في التحالف الأطلسي

اتّسمت المعارضة الأوروبية لقرار ترامب بنبرة غير مسبوقة في الرفض والتحدّي، ما يزيد في عمق الشرخ في الائتلاف التقليدي بين ضفتي الأطلسي. ومنذ فوز ترامب بالانتخابات، أبدت ألمانيا وفرنسا انتقادات متوالية لسياساته، وحثتا على تفاعل أقلّ مع منطلقه المتقلب المزاج في تدبير الشؤون الدولية. وتقول المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل: "لا نوافق" على قرار ترامب بشأن القدس، "وأنها تتمسك بقرارات الأمم المتحدة التي توضح أنه يتعيّن التفاوض على وضع القدس ضمن مفاوضات حلّ الدولتين، ولهذا نريد إعادة إحياء عملية السلام على هذا الأساس"²³. غير أنّ التحوّل الأكثر إثارة جاء ضمن ردّة فعل رئيسة وزراء بريطانيا تيريزا ماي التي وصفت

²¹ Mearsheimer & Walt, p. 9.

²² Dalia Hatuqa, "For Palestinians, There's Only One Road Left," *The Atlantic*, December 7, 2017, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/xdFQAk>

²³ Judith Mischke, "Mogherini: Trump's Jerusalem decision 'very worrying'," *Politico*, December 7, 2016, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/jmVTsg>

قرار ترامب بأنه "لا يساعد آفاق السلام في المنطقة"، وأن "السفارة البريطانية ستظل في تل أبيب، وليست لدينا خطط لنقلها إلى مكان آخر".

ومن منطلق شامل للقارة الأوروبية، أعلنت فيديريكا موغيريني، مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، معارضتها وأن موقفها يحظى بتأييد "جميع وزراء الخارجية في الدول الثماني والعشرين الأعضاء في الاتحاد الأوروبي"²⁴. وشددت على أن "السياق العام هَشَّ للغاية وأن إعلان القرار ينطوي على احتمال العودة بالمنطقة إلى حقبة أكثر ظلامية مما عايشناها من قبل [...] هذه اللحظة الصعبة تستدعي التزامًا أقوى بالسلام"²⁵. وقد أبلغت موغيريني وزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون خلال اجتماعهما في بروكسل عشية خطاب ترامب "بأننا نؤمن أن الحل الواقعي الوحيد للنزاع بين إسرائيل وفلسطين يقوم على أساس وجود دولتين مع اعتبار القدس عاصمة لدولة إسرائيل وعاصمة لفلسطين". وحدّرت من مغبة "تصعيد التوترات في المناطق القريبة من المواقع المقدسة وفي المنطقة أيضًا بسبب أن ما يحدث للقدس يهّم كل المنطقة وكل العالم".

خلاصة: ما بعد قرار ترامب؟

مع تجاهل مضاعفات الاعتراف بالقدس عاصمةً لدولة إسرائيل، يتناقض ترامب مع وعده الآخر بأن "حكومته لن تضع مصالح أي دولة أجنبية قبل مصالح بلادي. ومن الآن فصاعدًا، ستكون أميركا أولًا"²⁶. لا شك في أن القرار الجديد سينفع إسرائيل دبلوماسيًا. غير أن اليسار السياسي في الولايات المتحدة، بمن فيه اليهود الليبراليون، غير مرتاح لوجود ترامب يميني أكثر ليكودية من ترامب القومي الأميركي. وينال قراره بشأن القدس من صدقيته في أعين أكثر من مليار من المسلمين والمسيحيين والعرب وحتى الأوروبيين، ويزيد في ترسخ

²⁴ Ibid.

²⁵ Ibid.

²⁶ Johnson.

المشاعر المعادية لأميركا في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وحتى في أوروبا. ووفقاً لذلك، يكون ترامب قد وضع الأرضية لعدة تحولات مرتقبة:

- قرّر الفلسطينيون إيقاف اتصالاتهم مع حكومة ترامب ورفضوا مقابلة نائبه مايك بنس خلال زيارته المنطقة. وطووا بذلك صفحة الدور الأميركي في عملية السلام، وبدأ "البحث عن وسيط جديد من إخواننا العرب والمجتمع الدولي، وسيط يستطيع المساعدة في التوصل إلى تحقيق حل الدولتين"²⁷.
- دق قرار ترامب المسمار الأخير في نعش محادثات السلام واتفاق أوسلو. وحرّر الفلسطينيين من وعد غير منجز من وسيط سلام غير محايد. وقد تهدي القيادة الفلسطينية إلى إعادة تركيب إستراتيجيتها من ردّة الفعل إلى مسعى استباقي ومستقل من أجل تحقيق أهدافها الوطنية بمساعدة قوى إقليمية ودولية أخرى.
- زاد قرار ترامب في تصعيد النزاع وتعميق البعد الديني بين الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين من جهة ويهود إسرائيل من جهة أخرى. وسيولّد لهيب الشعلة المقبلة لأعمال العنف من وقود الحمولة الدينية في السياسة، والاستشهاد دفاعاً عن الحفاظ على المواقع الدينية للجانبين. وسيدخل ترامب كتب التاريخ على أنه الرئيس الذي أصرّ على تحفيز فرضية صراع الحضارات، ما يجعل صامويل هنتنغتون يبتسم في قبره.
- قد يكون قرار ترامب بشأن القدس بمنزلة "رب ضارة نافعة" عندما تنتقل رام الله وبقية مراكز القرار العربي والإسلامي إلى استحضار التقارب الأنغليكاني اليهودي في فهم السياسة الخارجية الأميركية وأخذها على محملها الواقعي الضمني، وليس بحسب مبادئها البوريتانية المعلنة. فبين العلائقي والعقائدي تتضح الأرضية التي يستند إليها قرار ترامب عند تلاقي الدوغماتيتين السياسية والدينية في تحديد مسار خدمة مصالح إسرائيلية ليكودية أكثر من المصالح القومية الأميركية.

²⁷ "Palestinian President Abbas won't meet U.S. Pence in region - foreign minister," *Reuters*, December 9, 2016, accessed on 28/2/2018, at: <https://goo.gl/kgSk2q>